التقليديَّة لم تعد غالبةً حينذاك ، وأن معظم الشعراء كانوا قد تخلَّوا عنها إلى حد كبير . وأما ما قاله أبو نواس :

صِفَةُ الطُّلولِ بلاغَةُ القِدم فَاجْعَلْ صِفاتِكَ لابْنَةِ الكَرمِ
لا تُخْدَعَنَّ عن التي جُعِلَت سقم الصحيح وصحَّةَ السَّقمِ
تصفُ الطلول على السَّماع بها أفَذو العيانِ كأنت في الحكمِ ؟
وإذا وصفتَ الشَّيْءَ متَّبِعًا لَمْ تَخْلُ مِنْ غَلَطٍ ومن وَهمِ

فإن الدكتور عبد القادر القط يعتبره مسلكًا حضاريا ، بعد أن أصبح الوقوف على الأطلال رمزًا للبداوة والتخلُّف عن مسايرة روح الحضارة الجديدة قبل أبي نواس بوقت طويل [1].

وأيا ما كان عليه النقدُ فيما عرضنا له من عصور – فلا شك في أنه قدَّم صورة مليئة بالحيوية والنشاط ، اتصلت بالأدب وخاصة الشعر ، واستمدت منه قيمًا فنية ، وأمدته ببعض الأسس الموضوعية قليلاً والذاتية كثيرًا ، واستجاب الشعراء لهذه الأسس راضين أحيانًا وكارهين أحيانًا أخرى . ولكن – على كلٍّ – فقد تمت الخُطْوة الأولى التي مهدت لحياة نقدية منظَّمة داخل الكتب والمؤلَّفات ، بحيث استطاع مؤلفوها أن يجمعوا شتات هذه المتفرِّقات في أبواب وفصول ، وتحددت معها كثيرٌ من القضايا النقدية التي شغلت مساحاتٍ واسعة في مؤلَّفات النقد والبلاغة ، كاللفظ والمعنى ، والسرقات الأدبية ، والأصالة والابتكار ، والصنعة والتكلف ، وغيرها مما يمكن اعتباره أساسًا صالحًا لتجميع أصول نظرية عربية في نقد النص الأدبي: من حيث صياغته ، وبناؤه ، وموسيقاه ، ودلالته .

(١) في ذكرى طه حسين . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢ . ص ٤١٠ .